

- ٤ -

هل كان في وسع الصبيّ إذن أن يرسم بلا وَجَل، حتى ولو صورة وَثْن؟ إن «تَوأمه» يقول له أشياء أخرى كثيرة كان متعطّشاً لسماعها: أن معتقدات «أصحاب الملابس البيضاء» ليست معتقداته، وأنه لم يتمّ يوماً إلى ديانتهم، وأن نقاوتهم ليست سوى ادّعاء وانحراف. وأنه عندما يصبح ذات يوم ناضجاً لمواجهة الدنيا فسوف يُغادر بستان النخيل ذاك.

عاهد «ماني» نفسه على عدم اليوح بشيء من كل هذه الأشياء لأحد. إلا أن نفسه كانت تفيض بفرح غامر يُخِيل معه أن روحه قد تلاحت بعد طول ارتهان بدلاً من أن تنقسم أو تنصدع أو تنشطر. أفلم يغادر بيت «شارياس» وكأنه ينجو بنفسه من ماخور اشتعلت فيه النيران؟ وها هو ذا يعود إليه بعد بضعة أيام ويعود إلى جلسته أمام الجدار ويلتقط فرشاته التي كان قد ألقاها من يده فيؤجّج ببضع ضربات نشيطة الأشعة التي تكلّل رأس «ميترا». أفلم يكن قد هرب من «مالكوس» من غير أن يُقيم له أيّ اعتبار؟ وها هو ذا يعود فيلتفت إليه أشدّ مراعاة وأكثر إمعاناً أيضاً في الصداقة.

وكان «الصوريّ» يعلم جيداً أن صديقه قد تغيّر، وأنه بات مختلفاً عمّا كان، ولكنّ مختلفاً في أي شيء؟.